قسم اللغة والأدب العربي_جامعة أم البواقي_

محاضـرات مـادة (الأدب الجزائري) السنة ثالثة ليسانس، تخصص: نقد ومناهج

إعداد الأستاذة:حسناء بروش

المحاضرة رقم: 02

يوم: 2021/02/08

الأفواج: 01-02-03-04

عنـــوان المحاضرة: عبد الحميد بن هدوقة وتجريب التأسيس

تتمثّل قيمة تجربة عبد الحميد بن هدوقة الروائية في المشهد السردي الجزائري الحديث والمعاصر في طابعها التأسيسي، وذلك أنّ تحديد زمن نشأة الرواية الجزائرية ذات التعبير العربي، يقترن بظهور نصّ "ريح الجنوب" عام 1971، والذي يعدّه النقّاد أوّل رواية فنية جزائرية، مقارنة ببعض النماذج البدئية التي كانت تتحسّس الطريق إلى الرواية، دون أن تعكس امتلاك أصحابها الوعي النقدي بشروط كتابتها.

ثمّ إنّها تجربة تعكس –رغم هيمنة الثقافة التقليدية على صاحبها– نزعة تجريبية باحثة عن الأشكال التعبيرية الجديدة في الممارسة الروائية، يعبّر عنها الكاتب ذاته في قوله: "ككاتب أحاول أن أوظف كلّ ما أعرف: السينما، التمثيل، الإذاعة، الأدب في الرواية، ويكون هذا التوظيف حاملا لعدّة مضامين ومستويات... فمن السذاجة بمكان أن يبقى

الكاتب هو نفسه. الكاتب نفسه يتطوّر فنيا..." وهو تجريب يقترن لديه بالتأصيل، حتّى لا يتحوّل إلى سبيل من سبل التغريب/و اللاانتماء، يقول: "ينبغي أن نحافظ على الأصالة ونحترمها. وهي مميّز مهم لإبداعاتنا في التقنيات المستعملة". وهذا ما تجسّده نصوصه الروائية التي تعكس تطوّر وعيه بشروط كتابة الرواية، وأدواتها الإجرائية، عبر البحث عن الأشكال الفنية الجديدة، القادرة على استيعاب الإشكاليات المستحدثة في المجتمع الجزائري، والتي أفرزتها مرحلة الاستقلال، بزخم تجاربها، وما عكسته من تطلعات، وانتهت إليه من اخفاقات، تعلل التحوّلات المتأزّمة التي شهدتها مختلف أبنية المجتمع الجزائري في تاريخه الحديث والمعاصر، وما نجم عنها من أحداث جسام.

ففي رواية "ريح الجنوب"، والتي طرح فيها الكاتب جدلية العلاقة بين المرأة/ والأرض على صعيد التحرّر، تبدو العلامات الدّالة على تجريبيتها محتشمة، حيث يشكّل استثمار الكاتب المكثّف للحوار أبرز سماتها المفيدة، إذ يشتغل عليه وظيفيا للكشف عن الوضع البائس للمرأة الجزائرية في علاقتها بالآخر/ الرجل، والمجتمع، عبر عدد من النماذج النسائية: نفيسة وخيرة والعجوز رحمة، وكذلك لإبراز العلاقة الصدامية بين الأجيال فيما يتّصل بالحديث عن الآخرة: الموت وما وراء الموت، من خلال استثمار الكاتب عناصر الخيال الإسلامي (النار- الجنة- النشر- البرزخ- القبر)، وكذلك تناول مسألة الثورة الزراعية، وما أثارته من جدل بين الشباب المتطوّعين والإقطاعيين. كما عمد الكاتب إلى استثمار تقنية التذكّر في استعادة جوانب من ماضي الشخصيات، وصور من تاريخ الثورة الجزائرية زمن التحرير، فضلا عن استثماره لأبيات من قصيدة البردة للبوصيري وأخرى من الشعر الملحون عن المرأة للشيخ عبد الرحمن المجدوب، إلى جانب إفادته من تقنية الترسّل.

وتبقى نزعة الكاتب النقدية مهيمنة، ودالة على موقفه الرافض للمعتقدات الغيبية السائدة في الأوساط الريفية، والمدين لسلطة الاستقلال التي تشكّل الامتداد لسلطة الاستعمار. وهو ما يعبّر عنه عابد بن القاضي بقوله: "حياتنا كلّها مرّت في التخوّف والحذر. قبل الاستقلال كنّا نعيش تحت الظلام، فتعوّدنا حياة الظلم، وجاء الاستقلال فإذا بظلم الأمس يستمرّ وتزداد عليه الضرائب الجديدة".

وقد عبّرت هذه الرواية عن تجريبيتها رغم توفّرها على البعض من العلامات الدّالة على رواسب الرواية التقليدية، كالسارد العليم الذي يتولّى الحكي، والبنية الحديثة ذات الشكل الثلاثي (ما قبل الحدث– الحدث– ما بعد الحدث).

والواقع، أنّ التجريب يدرك مداه من النضج، ومن ثمّ الإضافة في رواية الكاتب: "الجازية والدراويش" فهي تشكل تحوّلا نوعيا في مسيرة إبداعه الروائي، وعلامة مميزة فيه، لما توّفرت عليه من علامات دالة على ما توصّل الكاتب إلى امتلاكه من عناصر وعي نقدي بشروط الرواية، وأدواتها الجمالية في صياغة الرؤية، والتعبير عن الموقف، وذلك عبر استثماره التراث الحكائي الشعبي، ممثّلا في السيرة الهلالية، التي وظّف منها شخصية الجازية رمزا جماليا وفكريا لجزائر الاستقلال. وهو ما يؤكده في قوله: "ترمز الجازية إلى الجزائر، أردت أن أذهب بأسطورة الجازية إلى بعد فني وسياسي من خلال الجازية الروائية. أردت أن أعطيها قاعدة مادية وجدت بالفعل. وهي الجازية الشخصية السياسية رمز الجزائر القاصرة... أردت أن أكذّب كلام قارئة الكفّ، وأقول: ليس صحيحا الشعب ليس قاصرا...". كما استثمر –في ذات السياق– عناصر من التراث الشعبي/ الجزائري، والمغاربي تتمثّل في طقوس كلّ من الزردة والحضرة.